أزمة الهوية في رواية أصفاد من ورق ليوسف هداي ميس

م. م. غادة جمال مكي
جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية - قسم اللغة العربية
Email: gadajamal00@gmail.com

الخلاصة
يتناول البحث دراسة الهوية الضائعة في رواية (أصفاد من ورق) للكاتب الكويتي/العراقي يوسف هداي ميس، وذلك؛ لغرابة موضوعها الذي قدمه الكاتب، اذ اختار دولة الكويت فضاءً لروايته، واختار موضوعاً متأزما يطرح صراع الهوية للشخصيات التي تأرجحت بين الهوية العراقية والهوية الكويتية ومن هنا تتأتى أهمية الرواية، إذ جاء طرحه لموضوعة (الهوية) مختلفاً تماماً عما ألفناه من الكتاب والروائيين بعد عام 2003 (بعد سقوط النظام السابق)، والذي يتعلق بالاخر القادم من خارج البلاد، الذي بقي متأرجحاً بين هويته الأم_ حيث اللغة والدين والتأريخ _وبين هوية الاخر بحكم المعاشره والإنبهار والإندماج، وهنا يتعذر الإنتماء لأي الطرفين. فهو بهذا خرق تابوهات المنع، وعرض موضوعاً يعد حديث الساعة،وعرض طبيعة السياسات القائمة على المصالح، واعادة النظر في قضية حقوق الإنسان في ضوء المتغيرات الحاصلة والتطورات السريعة التي يمر بها العالم.
وقد تناول البحث الهوية مفهوماً وإصطلاحاً، وتضمن صراع الهويات، وصراع الايدولوجيات، ثم الخاتمة وقائمة المصادر.

Identity Crisis in the Novel Cuffs of Papers for Yusef Hadi Mays

Assis.Inst.Ghada Jamal Makki
Baghdad University - Faculty of Education Ibn Rushd for Humanities - Department of Arabic language
Email: gadajamal00@gmail.com

Abstract
This research deals with the study of the identity lost in the novel (handcuffs of paper) by Writer (Kuwaiti / Iraqi) Yousif Hadi Mays.This is because of The strange subject presented by the writer ,Kuwait has chosen a sbace for his novel and chose apurely Kuwaiti theme. Hence the importance of the novel, as it came to the subject of identity completely dntdiffere from what we wwrote after the fall off the regime (2003), Which is related to the last coming from outside the country, which remained oscillataing between his mother's identity where language, religion and history and the identity of the other by virtue and dazzling, and integration and here con not belong to either party. This is a violation of the taboos of prevention and the presentation of a topic is the talk of the hour as presented the nature of policies based on interests and reconsider the issue of human rights in the light of the changes taking place and rapid developments in the world. The first section deals with the conflict of identities , the second is the struggle of ideologies, then the conclusion and the list of sources.

المقدمة
تشير أزمة الهوية إلى نتاج إخفاق الفرد في تحديد هويته وانتمائه, وتشير إلى عدم القدرة على اختيار المستقبل أو متابعة التعليم، كما تنطوي على الإحساس بالإغتراب, وعدم الجدوى, وإنعدام الأهداف, وعدم القدرة على إختيار المستقبل المهني, واضطراب الشخصية, ومن ثم البحث عن هوية سلبية. وهذا ما قدمه الروائي (يوسف هداي ميس) في روايته (أصفاد من ورق)التي تدور أحداثها حول شخصية (فهد فرحان) والاحداث التي عاش فيها كـ (بدون) منذ منتصف الثمانينيات إلى منتصف التسعينيات بعد تهجيره من الكويت إلى العراق بعد حرب 1991 .وأول ما يثير إنتباهنا ويشدنا إلى هذه الرواية هو غلافها، فهو صورة فوتوغرافية لشاب يغطي كل وجهه لافته كتب عليها (البدون يشهد لهم -1973-1990 1967-1920) وهي أعوام ابلى بها (البدون) بلاء حسناً في معارك خاضتها الكويت. فمن هم (البدون) ؟
البدون (غير محددي الجنسية) هم فئة لا تحمل الجنسية الكويتية ولا جنسية أية دولة أخرى من الدول,في حين يعدون أنفسهم مواطنين كويتيين يجب أن ينالوا حقوق المواطنة الكاملة, لكن الحكومة الكويتية ترفض ذلك، وتعدهم مقيمين غير شرعيين على أرضها، مما أدى إلى حدوثأزمة مجتمعية شائكة حقوقياً وسياسياً، وأغلبهم ينحدرون من أصول عراقية، ويخدمون في

سلكي الجيش والشرطة قبل الحرب العراقية الكويتيةعام 1991م,إذ بلغت أعداد (البدون) ذروتها قبل الحرب العراقية الكويتية فبلغ تعدادهم على وفقالتقارير الرسمية نحو (250000) الف نسمة, وانخفض هذا العدد إلى النصف بعد الحرب ليصل إلى (125000) الف نسمة. وتعد قضية (البدون) من القضايا المؤثرة بنحو كبير في سجل الكويت في حقوق الانسان. فقدانطلقت تلك الجموع من الفقراء المهاجرين إلى الكويت ،ومن ثم بعد عقود عادوا إلى العراق، رجعوا بلا هوية يعرفون بها بعد أن انسحقت وتلاشت هويتهم الحقيقية ،واصبحوا عدماً، فقد عاشوا في الكويت لعقودمن الزمن، وحلموا بأن ينالوا الجنسية الكويتية ليكون لهم حق المواطنة،وتقع عليهم واجبات يؤدونها للوطن، فقيدت مساعيهم وطموحاتهم بقوانين جائرة كبحت من جماح إندفاعهم للخوض في غمار الحياة، فكانت تلك القوانين المكتوبة بمنزلة (أصفاد من ورق) ؛ ولأن الكاتب (يوسف هداي ميس) عاصرهذه الفئة، وكان واحداً منهم جاءت روايته تعبيرا صادقا عما تعانيه هذه الفئة من تهميش، واقصاء على مر الزمن،وبأسلوب ابداعي خلاب ومميز ، إذ ولد الكاتب في الكويت وعمل والده في سلك الشرطة ،وبعد الحرب العراقية الكويتية عام 1991 فصل والده من الخدمة، ثم اجبر على مغادرة الكويت الى العراق، وهذا هو ماحصل لبطل الرواية (فهد فرحان)، فكأنه يروي مع قصة بطله (فهد) الامه ومعاناته في تلك المدة.

الهوية مصطلحاً ومفهوماً

لقد شكل مفوم الهوية ومعرفة حدودها وأبعادها وخصائصها هماً لجميع الفروع الإنسانية منذ أن عرف الإنسان المنطق العلمي واستعمالاته[1], فتنوعت تعريفاتها بتنوع المجالات النفسية والفلسفية والقومية والإجتماعية والسوسيولوجية .... الخ. فيرى (أليكس ميكشيللي) إن مفهوم الهوية يطلق على مجموعة من المعايير التي يعرف بها الفرد ويعرف،ويصدق ذلك على هوية الجماعة[2]، فالجماعة كالفرد لا تستطيع أن تبادر إلى عمل أو تقوم بإنجاز مشروع مهما كان نوعه أو حجمه من دون أن تعرف نفسها, وتحدد مكانها، ودورها, وشرعية وجودها كجماعة متميزه أي أن تعرف ما هي وما تريد أن تكون عليه[3]. ويرى (جون جوزيف) أن هويتك بكل بساطة هي ماهيتك، فإذا سألك أحد ما من أنت ؟ فستجيب من دون لبس إلا في حالات معينة كأن تكون خائفاً من الشرطة لسبب ما أو من شخص معين، فتضطر لتخفي شخصيتك, أو كنت فاقداً للذاكرة[4]. إذن فالهوية إصطلاحاً هي تلك البطاقة (بطاقة الهوية) التي يحملها الفرد وتحتوي على الشهره، والاسم ،ومكان الولادة وتاريخها،وعلى صورته أيضاً، كما تحتوي على تعداد لبعض الصفات الجسدية ،وتوقيع حامل الهوية وبصمته, فهي مجموعة كاملة من البيانات تمكننا من التعرف على حاملها من دون لبس، فهو فلان ولا يوجد بين مليارات البشر شخص واحد يؤخذ خطأ على أنه هو حتى لو كان بديله أو أخاه التوأم[5]. ولا تخرج الدلالة الإصطلاحية عن الدلالة اللغوية، فقد أشار صاحب المنجد إلى أن الهوية أصلها (هو) وتعني حقيقة الشي أو حقيقة الشخص المطلقة, المشتملة على صفاته الجوهرية – وليست أي صفات – التي تميزه منغيره[6]، ولكن هوية الشخص لا تقتصر بالطبع على تلك الصفات المدونةعلى السجلات الرسمية، فهناك بالتأكيد بالنسبة للغالبية العظمى من الناس الإنتماء إلى تقليد ديني، وإلى جنسية، وأحياناً إلى جنسيتين، وإلى مجموعة إثنية أو لغوية, وإلى أسرة أكثر أو أقل إتساعاً، وإلى مهنة ومؤسسة أو وسط اجتماعي[7] ...، الخ. فعلى الرغم من البساطة الظاهرية التي يتبدى فيها مفهوم الهوية، فانهاعلى العكس من ذلك،فهي على درجة عالية من الصعوبة والتعقيد والمشاكلة;لأنه بالغ التنوعفي دلالته واصطلاحاته, فالهوية ليست كياناً يمنح دفعة واحدة وإلى الأبد, بل مجموعة من المشاعر المختلفة كالشعوربالوحدة والتكامل والإنتماءوالقيمةوالإستقلالوالشعور بالثقه المبني على أساس من إرادة الوجود، وهذه كلها تولد وتنمو، وتتكون وتتغايروتشيخ، وتعاني الأزمات الوجودية والإستلاب. ولما كانت الهوية حقيقية تنمو وتتكامل وتنضج، إذن هي حقيقة وجودية تنطوي على عوامل وجودها، وبذور نمائها، وكما هو منطق الأشياء، فهي تنطوي على بذور فنائها وإنشطارها،إذ تتعرض وبفعل عوامل متعدده تربوية وإجتماعية وثقافية للتشوية والإنكسار، وهنا لا يمكن أن نتجاهل أهمية العملية التربوية في خلق شخصيات عصابية لا تماسك فيها، ولا سيما في مرحلة الطفولة، ومراحل حياة الإنسان الحرجة (مرحلة البلوغ والمراهقة)، فالتربية التي تقوم على أساس من الحب والحنان تخلق هوية متماسكة ومرنة أكثر إدراكاً لنقاط قوتها وضعفها؛ لأن الإفتقار إلى الحب والحنان في مرحلة الطفولة يؤدي إلى تشظيات الهوية وإنشطاراتها فتضمر شخصيته، ويفقد قدرته، ثم ينعزل عن حياة المجتمع، وهو مايعرف **بأزمة الهوية**[8]. وعلى العكس يمكن أن يقدم الشعور بالهوية، ولا سيما الهوية الوطنية – ((وهي مجموعة من الخصائص المشتركةأهمها اللغة والدين والتأريخ التي تميز جماعة من غيرها وتشكل جوهر وجودها وأهدافها وثوابتها))[9] – مساهمة مهمة لجعل العلاقة مع الأخرين قوية متينة ودافئة مثل علاقاتنا مع الجيران والأصدقاء، أو أعضاء الجماعة، أو المواطنين أنفسهم من أبناء الوطن أو التابعين للديانة نفسها، كما يمكن أن يثري تركيزنا وإهتمامنا على هويات معينة روابط،ويجعلنا نقدم أشياء كثيرة بعضنا لبعض،فيساعدنا هذاعلى تجاوز حياتنا المتركزة حول الذات، إلا أن الهوية يمكن أيضاً أن تصبح قاتلة وبلا رحمة، ففي أحيانكثيرة يصبح إنتماؤنا لمجموعة معينة انتماء قوياً ومطلقاً، يحمل معه إدراكاً لمسافة البعد والإختلاف عن الجماعات الأخرى، فالتضامن الداخلي لجماعة ما يمكن أن يغذي التنافر بينها وبين الجماعات الأخرى[10]. لأن الهوية هي حصيلة مجموعة من المقومات – اللغة والدين والتأريخ كما ذكرنا – فعندما يتعرض أي جانب من هذه المقومات للخطر تتسطح الهوية،ويتعدد الإنتماء، وتصبح الهوية بنية ضعيفة، مما يجعل الوطن عرضة للمحن والأزمات[11]. ولكي يعيش عالمنا المبتلي في إنسجام فأننا نذهب إلى ما ذهبت إليه (مارتيا صن) في كتابها (الهوية والعنف) فهي ترى أن أساس انسجامنا يقع في "تعدد هوياتنا التي تتقاطع كلا منها عبر الأخرى, وتعمل على الحد من التقسيمات الحادة حول خط واحد متصلب من التقسيم الحاد الذي يزعم أنه لا يمكن مقاومته. إن إنسانيتنا المشتركة تتعرض لإعتداء وحشي شرس عندما تضيق الإختلافات بيننا لتصبح نظاماً تقسيمياً واحداً من تصنيف قوي مفرد"[12]. ويجب على السلطة

الحاكمة العمل على دمج هذا التعدد في الانتماء، وإيجاد نقاط تجمعهم للوصول إلى هوية مشتركة، تمثل مصالح الفئات الجماعية بتنوع انتمائها، وضمان عدم التضارب بين الهوية المشتركة والهوية الفردية[13]

صراع الهويات

إن قضية الهوية قضية محورية؛ لأن من لم ينتم إلى هوية بعينها سيذوب حتماً في ثقافة غيره، وستتلاشى مميزاته، لذلك فإن كل جماعة أوأمة تعوزها الهوية المتميزه لتتمكن من العيش والمحافظة على وجودها، فهي التي تحفظ سياج الشخصية وبدونها يتحول الإنسان إلى كائن تافه، فارغ،غافل، تابع،مقلد؛ لأن للهوية علاقة رئيسة بمعتقدات الفرد ومسلماته الفكرية، ومن ثم تحديد سماته الشخصية فتجعله إنساناً ذا قيمة ومعنى وغاية, فإذا توافقت هوية الفرد مع هوية مجتمعه كان الأمن والراحة والإحساس بالإنتماء, وإذا تصادمت الهويات كانت الأزمة والإغتراب،وتزداد العوامل السلبية حتى يكون الفرد أو الجماعة التي ينتمي اليها في أزمة أو صراع مع الأطراف الأخرى, ولاسيما حين تضعه أقداره في الجانب الضعيف الذي يتعرض للعدوان[14]. وهذا ما حصل تماماً مع بطل الرواية (فهد) إذ وضعته الأقدار في الجانب الأضعف، فهو يسكن ضمن فئة معينه تحيا حياة صعبة,على أطراف حدود الكويت وهم في الأصل مجموعات من البدو الرحل القادمين من الدول المجاورة لدولة الكويت بعد أن جذبهم إكتشاف النفط فيها، فعاشوا عقوداً من الزمن على أرضها وولدوا،ونشأوا، وترعرعوا فيها،ولايعرفون أرضا غيرها، وعلى الرغم من ذلك تعدهم الحكومة الكويتية مقيمين بصورة غير شرعية على أرضها وتطلق عليهم لقب (بدون) أي بدون وطن وبدون حقوق. .فيكون الصراع بين هوية مركزية تستبيح بما تملك هوية مهمشة أو هامشية،وهذا الصراع غالباً مايشكل نسقاً ثقافياً يستقوي في المجتمعات العربية ذات البيئة المستقطبة للتخلف والأمية والتعصبات الجنسية. ومن المؤلم أن يبحث الإنسان عن هويته داخل وطنه ،والأشد ألما حين يجرد من هويته ويطلق عليه هذا اللقب القاسي والجارح والمخجل فكثيراً ماكان بطل الرواية (فهد) يشعر بالخجل حين يسأل عن هويته، فيخبرنا (فهد) – عن طريق المذكرات التي تركها – كيفسئل عن هويته حين راح يقدم الى القبول في كلية الطب بعد أنحصل على معدل 98% في الفرع العلمي، وكان يمني نفسه بالقبول في هذه الكلية ((بيد أن الجواب جاءني صريحاً وقاطعاً – ماهي جنسيتك ؟

وقد غاض الدم في وجهي خجلا بسبب وجود بعض الفتيات بقربي :

- جنسيتي .. غير كويتي

- تقول .. كويتي؟

- لا ..غيركويتي .. قلت

قالت أحداهن بوقاحة :

- قل إنك بدون وخلصنا

[...] ضج المكتب بالضحك،أحسست بنفسي صغير .. صغير ..))[15]

ثم يعود هذا الموقف المحرج ليتكرر مع أبنة عمه وحبيبته (خلود) التي قضى معها أجمل أيام طفولته.إذ ترفضه كزوج لها وحين يسألها

((- حبيبتي ..كلمتان لا أكثر،هل جاء الرفض منك أم من أبيك ؟.

- لاشأن لوالدي بالأمر،أنا التي رفضتك

- لماذا ؟

- لأنك بدون .!))[16]ثم تتزوج من شاب كويتي من أصول إيرانية،فتصبح (خلود)بذلك جرحاً غائراً يحمله معه أين ماذهب. ولكن (فهد) يصر على هويته الكويتية ويتمسك بها على الرغم من تجريده منها،فكانت خلود تسخر منه حين يبدي إعجابه بإحدى الفتيات قائلة له

((-مهما حاولت لن تظفر بها

- لماذا..؟

أم علها كويتية مثلك هي الأخرى؟

- كلا .. ولكنك أنت بدون ..ولاتصلح للزواج !.))[17]فنراه يستشيط غضباً ويصر على هويته الكويتية قائلاً لها ((- خسئت !.. أنا كويتي ..كويتي

- بل أنت بدون .. لن تظفر بالجنسية الكويتية مهما حاولت.))[18]

فيبقى (فهد) في حالة صراع دائم مع نفسه، فنجده يتساءل من نحن ((هل نحن أمة حتى نبحث عن وجودنا ؟ أم علنا طائفة ما،أو أقلية تروم إنتزاع الإعتراف الدولي بكيانها.كلا وعلى العكس من ذلك، فنحن نبحث عمن يلغينا،ينهي كياننا،نتمنى لوتعدم هذه الكلمة من قاموس الحكومة الكويتية فخلاصنا في إلغائها))[19]. لقد شكلت هذه الكلمة(بدون) أزمة نفسية لدى (فهد) فهي بما تتضمنه من قوانين جائرة مكتوبة بحق البدون أصبحت بمنزلة أصفاد من ورق تكبله وتمنعه من الحراك ومن ممارسة حياته الطبيعية. ويستمر (فهد) في هذا الصراع لإثبات هويته الكويتية فنجده يرتدي الزي الكويتي،ويتكوت في كلامه كما يقول ليبين إنه واحد منهم،فيخبرنا أن الكويتيين ((لم يعيروا البنطلون أو القميص أي إهتمام، بل حتى إنهم في حالة تكبر دائم على هذا اللباس الاتي من الغرب،لايرتدونه ولايحترمون من يرتديه،وكل الإكبار لمن أتاهم يعتمرغترة منشاة ويتجلبب بدشداشة بيضاء،مهما تكن جنسيته،يكفيك أن تتسربل بهذا اللبس لتنال الحظوة لديهم والمكان الرفيع،وياحبذا لو أشفعت ذلك بلهجة "تتكوت" فيها ماوسعك ذلك،بلسان معوج تحاكي فيه أبناء البلد الاقحاح،ليس مهما بعد من

تكون.))[20]وهذا مايفسر إبتعاده عن الكويتيات، فجميع علاقته مع غيرهن ((صادقت الكثيرات، كلهن غير كويتيات،[...] سوريات وفلسطينيات وقليل منهم كن من لبنان))[21]فهو في حالة بحث دائم عمن يستطيع أن يثبت أمامهأنه صاحب جنسية وكيان مستقل، فكان يقدم نفسه لهن على أنه كويتي الجنسية كما حدث مع صديقته اللبنانية (كارولين)، فعندما يتحاور معها يشير إلى أنه كويتي بطريقة غير مباشرة ((هكذا نحن شباب الكويت،لانهتم إلا بالأناقة، عطور غالية الثمن،سيارة سبورت،سفرات للخارج،ماذا نفعل؟ينطبق علينا المثل القائل أكل ومرعى وقلة صنعة.))[22]في الوقت الذي يبتعد فيه عن النساء الكويتيات؛لأنهن يذكرنه بواقعه المرّ، وبأنه (بدون) ولايمكنه الزواج من أية واحدة بصورة رسمية، فلاينال منهن غير الإستعلاء والإزدراء،فيقول:((لقد طلقت نساء الكويت بالثلاث ولست نادما على ذلك،وما الذي أجد عندهن غير الغرور والنظر للغير باستعلاء،وياليتهن يتريثن قبل ذلك قليلاً،وينظرن لأنفسن بمعزل عن الأوراق الثبوتية كالجنسية والبطاقة المدنية،ماذا يجدن؟لاشيء ..صحراء قاحلة تكاد تخلو من روح الحياة، [...] هجرت الكويتيات ونسيتهن،مثلما نسيت خلود ومحوت أسمها من ذاكرتي .))[23]وعلى الرغم من شعور (فهد)بهويته الكويتية قلباً وفكراًوإنه واحد منهم ، لم يتقبل المجتمع الكويتي يوماً الــ (بدون) فكان ينظر إليهم إما بالعطف أو الإحتقار،فيقول (فهد)((لكم الله أيها البدون))[24]كيف ينظرإليكم عند مراجعة أحد الدوائر الحكومية، ((فجأة..وعلى حين غفلة يدمغه السؤال الكريه الذي يمقته وحتى يخافه :

- يا الاخو ماهي جنسيتك ؟.

عندها لن يجد بداً من الوشاية للموظف بكنه جنسيته،فلاينتظر منه سوى إحدى النظرتين ..عطف أو احتقار.أما إذا كانت موظفة ..ستكون خزياً على هذا المراجع،خصوصاً* إذا مادهمهم وهو "كاشخ" بكل قوته ،فاذا ما افتضح أمره،تلوح منها إبتسامة سخرية على هذا الزنيم الذي يتشبه بأسياده.))[25] ويرى (فهد) ((أن الذنب والتقصير يقع على عاتق أولئك البدو الرحل،الذين أهملوا ربوع الشام بكل مافيها من خضرة يانعة وطبيعة زاهية،تركوا أرض دجلة بخصوبتها ومائها،ولم تستقر عاطفتهم المدينه المنورة ولامكة الشريفة إلا هنا فأتو بنوقهم وجمالهم إلى صحراء قفر إسمها الكويت،ماالذي أعجبك بها ياجداه ؟.))[26]فنراه لاينفك عن التفكير بهويته ومحاولة إنتزاعها من الحكومة الكويتية من دون جدوى، فها هوذا يحاور صديقه عبد الله عن حجم الظلم الواقع عليهم من الحكومة فيقول عبد الله ((- حتى اليهود لم يبخلوا على الفلسطينيين بحقوقهم المدنية.

- قلت : على الأقل،يعرفون أنفسهم بأنهم فلسطينيون.
- وعلاوة على ذلك،يمنحوهم الجنسية الاسرائيلية.
- والله ..لو نهاجر لإسرائيل خير لنا.
- لنكمل دراستنا الجامعية في أقل تقدير.
- ليس الجامعة فحسب،الكويت حرمتنا من كل شيء .))[27]

ويرى (أمين معلوف)أن في كل مكان، وفي كل مجتمع توجد هذه المجموعة من الرجال والنساء الذين يحملون في دواخلهم انتماءات متناقضة، ويعيشون على التخوم بين جماعتين متصارعتين كائنات تخترقها الصدوع الإثنية أو الدينية أو غيرها وعددهم بألالاف، بل بالملايين، وهم في تزايد مستمر, إنهم (حدوديون) بالولادة أو بمصادفات مسارهم أو بإرادة واعية, وهم يستطيعون أن يؤثروا في الأحداث وجعل الكفة تميل في إتجاه اخر[28]. وهذا هو ما حصل للبدون، فقد جعلوا الكفة تميل إلى إتجاه أخر، ولكن نحو الأسوأ فبعد كل ما عانوه من ظلم وإضطهاد من الحكومة الكويتية، يزداد الأمر سوءً بعد الحرب العراقية الكويتية، وإنضمام عدد من الــ (بدون) في صفوف الجيش العراقي خوفاً من بطش النظام السابق, وهنا تتهم الحكومة الكويتية جميع البدون بالخيانة على الرغم من المواقف الكثيرة التي أبلى فيها البدون بلاءً حسناً في الدفاع عن دولة الكويت كما يبين غلاف الرواية في الأعوام 1976 - 1973 – 1990 - وسنأتي على ذكرها في المبحث الثاني -فتقوم بالتضييق عليهم وتهجيرهم. فقبل الحرب كان يسمح للــ (بدون)بالعمل في سلكي الجيش والشرطة فحسب، لذلك كان والد (فهد) يعمل في سلك الشرطة لــ 25 عاماً، ولكنه فصل من الخدمة بعد الحرب،وبذلك تضطر عائلة (فهد) إلى الهجرة الى العراق، أو العودة إلى أصولهم التي أصبحت رموزاً منسية، ليبدأ صراعاً من نوع أخر، فيسرد لنا (فهد) من خلال مذكراته كل ماحصل له في مدينة الناصرية، وكيف كان العراقيون ينظرون إليهم،فعلى الرغم من حصوله على الجنسية العراقية فإنه لم يشعر يوما بأنه عراقي منتمإلى هذا البلد،كما لم ينظر العراقيون يوماً إليه على أنه فرد منهم،ليشعر بضياع أكبر من ذي قبل، فكانوا ينظرون إليه وإلى هذه الفئة (البدون)خليجيين مبعدينقادمين إليهم من الصحراءفهم (لفو)، ويرى (فهد) أن هذه الكلمة ((تعطي دلالة واضحة على عدم إعتراف أبناء الناصرية بنا كمواطنين أو كعراقيين ..فلم ولن نكون في نظرهم في يوم من الأيام أبناء مدينة أو "ولد ولاية" حتى وإن نزعنا الكفافي وإرتدينا البنطلونات،نحن في نظرهم مجرد "لفو"))[29]فكيف يكون خليجياً بعد أن حصل على الجنسية العراقية، وكيف تعده الكويت دخيلا، وهو لم يعرف أرضا غيرها قبل مجيئه إلى العراق، فقد ولد وعاش وترعرع فيها، وهو لايزال محملاً بعاداتها وتقاليدها،كل ذلك جعله مشتت الفكر فهو يشعر بإنه إثنان في واحد،حتى جاء من ينهي صراعه المرّ، إذ يقتل (فهد) بعد زواجه بـ(نهلة)، وهي فتاة عراقية كان متيما بها شاب عراقي،أسمه (مهند)،يسكن حيها دون علم (فهد)بذلك، إذ يسجن ويصدر حكم الإعدام بحقه، وفي أثناء وجوده في السجن يروي (مهند) قصته للرواي العليم، فيخبره بأنه كان طالباً في كلية الهندسة،وكان يمني نفسه بها (خلود) حتى ((تزوجها هذا الجربوع ..تزوجها هذا الخليجي،سرقها في وضح النهار))[30]ويخبرنا الراوي المشارك كيف كان(مهند)يكره هؤلاء البدون فقد ((أسهب في ذمهم محملاًإياهم جريرة واقعنا المتفسخ جاعلاً منهم قبائل همجية تغزومدينه الناصرية.))[31]فهم في نظره سببفي رفعالأسعار في مدينة الناصرية فيقول، للراوي المشارك ((- من رفع الأسعار غير

هؤلاء الجرابيع ؟البيت الذي كان بخمسة الاف دينار لايباعاليوماإلا بالملايين شوال الطحين الذي كان بالدنانير غدا سعره بألالاف ..وأكثر..وأكثر))[32]لقد كان (مهند) يزدري ((الخليجيين وكأنما بينه وبينهم ثأرقديم.))[33] وبزواج (فهد) من (نهلة)يزداد هذا الحقد والكره ويتوجهما بقتل (فهد) غدراً إنتقاما منه ومن هذه الفئة التي ((ضاقت بهم الناصرية))[34]بعد أن يطلب مساعدته لنقله إلى المستشفى،فيطعنه بالسكين طعنات عدة ويشعل فيه**النار.**[35]ويخبرنا الراوي بأن (مهندا) كان ((مؤمناًبأن مافعله عين الصواب.ومع مرور الوقت،أخذ الندم يتسرب لداخله،[...]أخذ الندم منه كل مأخذ))[36]وهكذا تسدل الستارة على معاناة (فهد) وصراعه الدائم حول هويته، فقد عاش مظلوماً، ومات مظلوماً. أما بقية (البدون)، فيخبرنا الراوي قائلا:((عرفت بأنهم أناس مظلومون،ما إن يستقروا في مكان حتى يهجروااإلى غيره عنوه ..وهذا ماحصل لهم في العراق،لم يطب لهم المقام هنا فقرروا الرحيل .. ليس كلهم بل من أستطاع إليه سبيلا .. إنها الهجرة الثالثة في التغريبة (البدونية) كانت هجرتهم الأولى من البادية إلى الكويت،حيث أستقروا هناك لعقود من الزمن،ليجدوا أنفسهم على حين غرة خلف حدود (العبدلي) في الهجرة الثانية.وبعد أن ضاقوا بالعراق أو العراق هو من ضاق بهم ذرعاً،حزموا أمتعتهم ليهاجروا مجددا إلى أوربا وأمريكا وكندا وأستراليا حيث يجدون جزءا من كرامتهم المهدورة وإنسانيتهم المنتهكة لتكون تلك الدول مستقرهم الأخير))[37].فـ (عبدالله) صديق (فهد) ((هاجر إلى لندن،فيما وجد لافي نفسه بين ظهراني حبيبته هولندا. أما أنا فليس لي بد من بلد اخر أذهب اليه ولاملجأ سوى العراق أو كما يسمونه البدون "سويسرا أم النخل"))[38] ليستمر صراعهم الأبدي مع العالم الجديد؛لأن المرء عادة عندما يغادر فلأن هناك أشياء رفضها، كالقمع ،والخوف، والفقر، وغياب الأفق، ويأمل أن يجد حياة أفضل في البلد المضيف ولكنه يبقى خائفا من أن يرفض أو يهان أو يصدر عمّن حوله ماينم عن الإحتقار أو السخرية والشفقة[39].

صراع الايدلوجيات

إن المشكلة الأولى التي تواجه أية مناقشة حول الايدلوجيا هي عدم توافر تعريف مستقر أو متفق عليه،لذلك المصطلح،وإنما هناك مجموعة من التعريفات المتنافسة، ويرى (دافيد ماكلان) أن الايدلوجيا هي أكثر المفاهيم مرواغة في العلوم الإنسانية بأكملها[40]. أما ظهور المصطلح لأول مرة، فلا خلاف حوله، فقد ظهر في فرنسا،بعد أن ابتدعه (انطوان دستودوتراسي)في أثناء الثورة الفرنسية، واستعمل لأول مرة علانية عام 1796، وكان يعني بها (علم الأفكار) الجديد أي علم –الفكرة idea-ology بصورة حرفية[41] فقد أعتقدأن من الممكن الكشف عن أصول الأفكار، وأعلن أن هذا العلم الجديد سوف يتمتع بالمكانة نفسها الخاصة بالعلوم الراسخة كعلم الأحياء وعلم الحيوان،وأشار إلى أن هذا العلم (علم الايدلوجيا)، سيتوج في النهاية ملكاً للعلوم،بما أن جميع أشكال البحث تتأسس على الأفكار.وعلى الرغم من هذه التوقعات لم يكن لذلك المعنى الأصلي للمصطلح سوى أثر محدود فيالاستخدام اللاحق. وقد درس هذا العلم في قسم مجمع فرنسا، وكان يتناول العلوم الأخلاقية والسياسية، وهكذا نشأت الايدلوجية في الأصل علماً شارحاً أو مابعد علم meta- science أيعلم للعلم[42].وتختلف تعريفات الايدلوجيا بأختلاف الميادين التي استعملت فيها،فلكل ميدان التعريف الخاص به.وأكثر مايستعمل هذا المصطلح في السياسة وعلم الإجتماع،فعندما يتقدم حزب سياسي معين للترشيح في الإنتخابات، فهو مطالب بتقديم أيدلوجيته،والحزب الذي لايمتلك أيدلوجية هو حزب إنتهازي،ظرفي،لايهمه سوى استغلال نفوذه للحصول على الأصوات الإنتخابية.ولما كانت السياسة هي صراع على السلطة ليس إلا لذلك ستكون الأفكار السياسية دعاية، أي قالب للكلمات أو مجموعة من الشعارات المصممة للفوز بالأصوات الإنتخابية أو لكسب الدعم الشعبي[43]. لذلك يرى (اندرو هيود) أن الأيدلوجيا على وفق هذا المنظور ستغدو ((ببساطة مجرد تجميل لواجهة المتجر يستخدم لاخفاء الحقائق الأعمق للحياة السياسية.))[44]فهي ((تتراوح بين تلك الأفكار الزائفة التي تنشأ تلقائيا في مجرى الحياة الإجتماعية اليومية،والأفكار الأخرى التي يجري إدخالها بدرجة من الحساب والتدبر المعتاد بهدف إستدامة شكل معين من السلطة أو السيطرة.))[45]وقد أدرك نابليون خطر هذا العلم الذي يحدد طموحاته الإستبدادية ويبين زيف إدعاءاته السياسية فقام بالقمع العنيف لرجال هذا العلم، (علماء الايدلوجية)، وفرض أيدلوجية جديدة بالمعنى الإزدرائي للفظ[46].أما التعريف الإجتماعي لهذا المصطلح؛فهو ((مجموعة من الأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمة أو حزب أو جماعة.))[47] وهذه بمجموعها تؤثر في الحياة السياسية والإجتماعية،فهي في المقام الأول تقدم منظوراً يتم فهم العالموتفسيره من خلاله، فلا يرى الناس العالم كما هو،ولكن يرونه كما يتوقعون أن يكون؛ لأنهم يرونه عبر حجاب من المعتقدات والافتراضات المتأصلة، إذ يعتنق كل شخص سواء بوعيأم مندون وعي منه مجموعة من المعتقدات والقيم المتأصلة فيهم التي ترشد سلوكه وتؤثر في تصرفه[48].

ومن الطبيعي أن يكتسي هذا المفهوم بصبغة سلبية أو أيجابية بحسب هوية المستعمل، فغالباً يرى المتكلم أن أيدلوجيته الخاصة عقيدة تعبر عن الوفاء والتضحية والتسامي، ويرى أيدلوجيات الخصوم أقنعة تستر وراءها نوايا خفية لاواعية يحجبها أصحابها حتى على أنفسهم؛ لأنها حقيرة لئيمة[49]. ولكي تتوضح الصورة بشكل أقرب، فأن الهوية الايدلوجية تشمل أربعة فروع فرعية وهي:

1 - الهوية المهنية: وترتبط بالمهنة ومسار العمل الذي يود الفرد أن يتبعه للتعرف على قدراته وميوله من جهة، ومطالب المجتمع من جهة اخرى.
2 - الهوية الدينية:إن المعتقدات الدينية والقضايا الأخلاقية واحدة من أهم المحركات الرئيسة الضابطة للشخصية، فهي تعبر بنحو كبير عن البناء الايدلوجي العام المصاحب لتشكيل الهوية، وذلك من حيث دلالة عمق التأمل الفكريواتساعه في هذا الجانب.

3 - الهوية السياسية: ولايقل هذا المجال عن المجال الديني، فهو مثل الدين يسهم في إستنتاج وجهة النظر عن العالم،ويعد الجانبان السياسي والديني مدخلا ثابتاً لفلسفة الفرد في الحياة،فقد يوجد أشخاص بلا إلتزامات دينية، ولكنهم يملكون إلتزامات سياسية إجتماعية. فالمعتقدات السياسية هي التي تؤهل الفرد للمشاركة المدنية في المجتمع كالتضامن والمساعدة والمسؤلية والعمل للصالح العام.

4 - أسلوب الحياة (فلسفة الحياة): ويمكن التعبير عنه بطريقة التعامل مع الاخر، العمل، العادات، الامال، الإهتمامات الشخصية،وهي تتعلقبالقوى الشخصية والتجديد التكنلوجي والتحولات الثقافية التي ينتجها الفعل الانساني،وهو يتبع التنشئة الإجتماعية ويتطور مع العمر[50].

وبعد أن توضح لدينا مفهوم الايدلوجية، سنأتي على صراع الايدلوجيات في رواية (أصفاد من ورق). إذ انمازت رواية الكاتب (يوسف هداي ميس) بتعدد الايدلوجيات، فلل(بدون) ايدلوجيتهم الخاصة بهم، ولدولة الكويت ايدلوجيتها المعادية للـ (بدون)،كما أن للحكومة العراقية ايدلوجيتها التي تقف على الضد من ايدلوجية الحكومة الكويتية فيما يتعلق بالـ(بدون)،وللشعب العراقي هو الاخر ايدلوجيته المختلفة عن ايدلوجية حكومته اتجاه (البدون)، فجميع الايدلوجيات في الرواية تدور حولهم، لانهم موضوع الرواية.

أما ايدلوجية البدون، فتتمثل بإيمانهم العميق بهويتهم الكويتية، وتمسكهم بها، ورغبتهم الشديدة للحصول عليها(الجنسية) على الرغم من رفض الحكومة الكويتية منحهم اياها، فضلا عن حبهم لأرضهم (الكويت) وتعلقهم الشديد بها فهم لايعرفون أرضا غيرها، فقد ولدوا، ونشأوا، وترعرعوا فيها ودافعوا عنها وقدموا حياتهم فداء لها. فنجد (فهد) بطل الرواية ينضم إلى صفوف المقاومة الكويتية بعد الحرب العراقية الكويتية؛ لأنه مؤمن ايماناً كاملاً بإنه مواطن كويتي ويقع عليه واجب المواطنة.وقد دون هذا اليوم في دفتر مذكراته، فيقرأ لنا الراوي ((أخبرت بوجود خلية جديدة يتزعمها أحد أبناء البدون وافقت على الفور،أقتصر عملي على إلصاق المنشورات التي تشجب الغزو الغاشم وتحي الكويت أرضاً وشعباً.نسيت كل الزعل القديم على الكويت وقلت عفا الله عما سلف،تظل الكويت هي أم الخير وبلدي الذي لامناص عنه.))[51]وعلى الرغم من ذلك كله؛ فان ايدلوجية دولة الكويت حتى هذه اللحظة تعدهم مقيمين بصورة غير شرعية على أرضها، ولا تمنحهم سوى لقب (بدون). ونرى أن الايدلوجية التي تتبعها دولة الكويت إتجاه (البدون) تنطبق مع مفهوم الايدلوجية عند ماركس، فهي عنده تتحدد بملامح حاسمة وهي:

((أولاً: إرتباط الايدلوجيا بالوهم والغموض فهي مسؤولة عن رؤية زائفة وخاطئة للعالم وهو ما أشار إليه انجليز لاحقاً بمصطلح (الوعي الزائف)))[52] وهذه هي الرؤية التي تحملها الكويت إزاء الـ (بدون) رؤية زائفة خاطئة ، إذ قامت بظلمهم وإضطهادهم، وسلبتهم أبسط حقوقهم.

((ثانياً: إرتباط الايدلوجيا بمصطلح نظام الطبقات إذ اعتقد ماركس إن التشوه الحاصل في الايدلوجيا ينبع من حقيقة أنها تظهر مصالح الطبقة الحاكمه ونظرتها للمجتمع، فليست الطبقة الحاكمه راغبة في الإعتراف بأنها قوه قاهرة. وبالمثل فهي متلهفة للتوفيق بين المقهورين وقهرهم))[53] وهذا ما قامت به الحكومة الكويتية، إذ قامت بإسكانهم في منطقة ((لا يقطنها سوى البدون إذا ما إستثنينا قطعة رقم (10) التي خصصوها لأبناء الحضر في عملية عزل واضحة, بدو وحضر, كويتيون وبدون.))[54] ومارست قهرها على هذه الفئة الضعيفة المهمشة، إذ يقول (فهد): ((لم يفعلو بي شيئاً سوى الإهمال .. لا غير. لم يقتلوا ولم يسجنوا, حتى لم يعذبوني في أقبية معتقلاتهم. كل ما فعلوه بأختصار .. أن محو إسمي من سجلاتهم. ليست كويتياً ولا أنا من المقيمين, ماذا اذن؟ أطلقوا علينا تسميةً بت أشمئز منها من تكرارها.))[55] ويعني لقب (البدون). فهي بهذا سلبتهم جميع حقوقهم وأبسطها، فهم محرومون من التعليم والصحه والعمل والسفر، ومن أية أوراق ثبوتية تثبت زواجهم، أو ولاداتهم لأبنائهم، فهم فئة مهمشة منسية في ايدلوجية الدولة الكويتية فيخبرنا (فهد) كيف حرم من دخول كلية الطب التي كان يمني نفسه بها؛ كونه من فئة (البدون).((- فئة البدون جاء فيكم قرار .. انتم غير مشمولين في القبولات لهذه السنة, تقدر تقدم على باقي الجامعات في الدول العربية.))[56] ثم يضيف (فهد) ((- إن والدي في سلك الشرطة منذ خمسة وعشرين عاماً.

- والله حتى لو كان ابوك وزير الداخلية))[57] ويستمر (فهد) في سرد معاناتهم، فحتى إجازة السوق قد حرم منها (البدون)، وعلى الرغم من ذلك فقد اشترى صديقه (عبدالله) سيارة الوانيت فيغضب والد (فهد) قائلاً: ((هذا واحد مستهتر, كيف يقود السيارة بلا إجازة؟

- ما الذي بيده يا أبي, وانت تعلم بأن البدون ليس لهم الحق في إجازة السوق.

- تدري .. لو تمسكه أي دورية للشرطة راح يتسفر خارج البلاد حتى أهله ما يخلونه يشوفهم))[58] وهذا ما حدث بالفعل لصديقه (عبدالله) فقد إلقي بيه خارج الحدود بعد أن مسكته الشرطة يقود سيارته.

((ثالثاً: الايدلوجيا كمظهر للقوة، حيث تضع غطاءً على أعين الطبقة المستغلة أزاء حقيقة إستغلالها وهكذا تستند الايدولجيا النظام الطبقي غير المتكافئ، وتشكل بصورة حرفية الأفكار الحاكمة في عصر معين))[59] وهذا ما فعلته الحكومة الكويتية بالـ(بدون) فكانت تستغلهم من خلال توظيفهم في سلكي الجيش والشرطة لا غير، كما تشركهم مع الجيش الكويتي في معاركها، فضحى كثير من البدون بأرواحهم دفاعاً عن الكويت. فيخبرنا (فهد) ((جائني زعيم تنظيم الخلية بمنشورات جديدة تمجد صاحب السمو امير البلاد المفدى. !! لم استلمها منه, وقلت له:

- لن اوزع هذا المنشور

- ولكنهم طلبو مني ذلك

لن أفعل
- لقد ندم الرجل على ما فعله بالبدون
- لن يندم .. وهل نسيت الشهيدين اللذين قضيا أبان محاولة إغتياله في عام خمسة وثمانين؟ لم ينمح أبناءهما الجنسية الكويتية رغم انهما ضحيا بنفسيهما فداءً له, ولواجبهما الوطني. ليست هي التضحية الأولى للكويت, سبق ان قاتل"البدون" في حربي "67" و "73" ضمن قوات الجيش الكويتي, كما ضحى الكثير بأرواحهم في 8/2 من عام 90 .. هل ستكافؤنا حكومة المنفى لصمودنا إزاء المحتل إذا ما تحررت الكويت؟))[60] أما فئة البدون، فكان للبعض منهم ايدولجيتهم الخاصة للرد على تعسف الحكومة, فيخبرنا (فهد) عن صديقه (عبدالله) الذي يفكر دائما بالإنتصار عليهم, وكان ينتصر دائما ويحقق ما يريد ولا يبالي بالقوانين التي وضعتها الحكومة لتقييد البدون،ها هو يحاور (فهد) قائلاً: ((- إسمع فهد: اذا لم تحقد على عدوك فلا تتوقع أن تنتصر عليه في يوم من الأيام.
- أعدائي تعرفهم جيداً, وها أنذا حاقد عليهم كل الحقد وكما ترى, لهم الجاه والأموال والوزارات, وأنا "بدون" تائه اتسكع في الازقه.
- كيف؟
- صفن متفكراً ثم قال:
- هل تعرف غاندي؟
- نعم
- إنتصر على الإنجليز بكل ما يملكونه من قوة، ومن دون أن يرمي عليهم اطلاقة نار واحدة.))[61] وهكذا يمثل (عبدالله) نسق البطل الثوري الذي يرفض الإستسلام والخضوع والإنصياع لايدلوجية السلطة الشمولية المتمثلة في قمعهم وسلب حقوقهم، فيقول لـ(فهد) نحن أيضاً مثل غاندي ((نستطيع الانتصار عليهم, بلا عنف أو عمل مسلح.
[...]
- إسمع فهد: الحرب أياً كانت, سواء داخلية أم خارجية, عبارة عن تصادم في الإرادات, إرادتان تتصارعان ومن تفرض نفسها فهي المنتصرة))[62] ويستمر (عبدالله) في تشجيع (فهد) على الإنتصار وعدم الإستسلام فهو يستشهد بموقف الامام الحسين عليه السلام الذي خسر الحرب عسكرياً ولكنه إنتصر معنوياً فيقول (عبد الله): ((وهكذا نحن .. اذ لم نستطيع القيام بثورة فعلى الأقل ننتصر عليهم باستمراريتنا في عدم رفعنا للراية البيضاء. يجب أن نقاوم ولا نستسلم.
- نقاوم؟!
- أجل مقاومة سلمية.))[63] فكان (فهد) يحقق كل أحلامه وكل ما يريده على الرغم من القوانين الجائرة التي وضعتها الحكومة لهم. ويضيف (عبدالله) ((أنا مثلاً .. منعوا عني تحقيق أحلامي بدخول كلية الاداب, ماذا فعلت؟ سارعت بمطالعة كتب الأدب عن طريق المكتبات العامة منها أو الخاصة))[64]. فكان (عبد الله) شابا ذا((إرادة صلبة وعزيمة لا تفتر, اذا ما أراد امراً فأنه حتماً سيكون, بالطول أو بالعرض يجب أن يحقق مبتغاه, قال بأنه يحلم بسيارة "فورد موستنك" وما هي الا اشهر حتى اشتراها وأصبحت له ملكاً رغم أنوفهم. وهذا هو يجوب بها شوارع الكويت برأس مرفوع, تتوجه غتره وعقال, وكأنه من حملت الجنسية الكويتية الأولى أوأحد الامراء.))[65]
وبعد الحرب العراقية الكويتية ظهرت ايدولجية جديدة للحكومة الكويتية تتمثل في ((تفريغ الكويت من "البدون"))[66] فيسرد لنا الراوي بأن هذا ((ليس الهروب الأول, بل هي الحملة الثانية التي تشن علينا ثمت حملة اولى عام 1985, هاجموا فيها منطقة تسمى "الجواخير" وهي قرية صغيرة بنيت من الصفيح سكنها كل من لم يستطع دفع الايجار ولا يملك بيتاً حكومياً. قام جهاز أمن الدولة تسنده قوات من الجيش والشرطة باقتحام تلكم البيوت ليلاً, وسبي العوائل الساكنة فيها من ثم إحتجازهم في المدارس التي حولت بقدرة قادر إلى معتقلات ومن ثم هجروهم قسراً خارج البلاد.))[67] يخبرنا الراوي بأن مدرسة "طلحة" اصبحت ((سجناً ذا ثلاثة طوابق وكاد يغص بالسجناء, تارةً يتهمونهم بالإنتماء للجيش الشعبي وتارةً بالمتسللين, في سياسة مفضوحة تهدف الى تفريغ الكويت من البدون))[68] وبهذا بدأت ((هجرة جماعية أشبة بالتطهير العرقي تمارس ضدنا, ليس لنا من منفذ سوى العراق, فهو البلد الوحيد الذي يستقبلنا. إختلفوا معهم في كل شيء, واتفقوا على "البدون". أرادو طردنا بشتى الطرق وأرادنا صدام لخدمته, فجئناه بأطفالنا ليكونوا جنوداً له في حربه القادمة.))[69]
وهنا تظهر ايدلوجية الحكومة العراقية،اذ منحهم صدام حسين الجنسية العراقية لأغراض سياسية. أما الشعب العراقي في محافظة الناصرية التي غاصت بالبدون حتى إن حي "اريدو" ((فَقَدَ صبغته العراقية تماماً وغدا قطعة من الكويت.))[70] فلم يكن مرحب بهم أبدا وذلك لإختلاف ايدلوجيتهم عن ايدلوجية الشعب العراقي، ولاسيما في محافظة الناصرية إذ إنهم ((كويتيون – على الاقل في كبريائهم, في شخصياتهم من حيث الملبس واللهجة))[71] وحتى في طريقة سكنهم فهم ((يفضلون السكن في الاماكن المفتوحة حيث الخلاءات الشاسعة تمتد على الافق مبتعدين عن زحمة الشوارع الضيقة والبيوت الصغيرة))[72] فيخبرنا الراوي رغبتهم الشديدة ((في البيت "الركن" الذي يكون نهاية بيوت متسلسلة, حتى وان غدا بؤرة لتجمع العاطلين والمتسكعين))[73]. وهذه ايدلوجية خاصة بهم،إذ يرجع السبب في ذلك إلى ((أيام بداوتهم, فلا يقطن في اطراف المرابع سوى الرجل الشجاع الذي لا يهاب الغزوات من باقي القبائل والذي يتسم بالكرم في نفس الوقت اذ يغدو مهبط اول عابر سبيل يضيف القبيلة .. وكذلك تتبدى أمامه الأراضي الخضراء الشاسعة لترتع فيها اغنامه.))[74] فكانوا ((أين ما حلو تلاحقهم اللعنات, ومشاعر الغضب تتأجج ضدهم. في الأسواق, في الحافلات, في كل زقاق في الناصرية تسمع أنواع السباب تنهال عليهم. من لا يجد ما يسد رمقه يشتمهم, ومن تضطره الظروف أن يبيع بيته يشتمهم,

وحتى الذي يتخاصم مع زوجته يشتمهم ايضاً. اذا ما سار أحدهم بدربه يستمع لسيل من السباب عن يمنه وشماله دون أن يتفوه بكلمة واحدة, والويل له ان فعلها. عندها لن يجد غير قامات السيوف تخرج من اغمادها لتشل له رجلاً او تبتر له يداً.))[75] فهم في نظر أهل الناصرية ليسوا سوى "لفو"، وهذا ما يخبرنا به (فهد) في مذكراته ((كل من اقابله يقول لي جملة سمعتها مراراً وتكراراً بس احنه "ولد الولاية", وهاي كله لفو))[76] اشارةً واضحة إلى إنتمائهم الى هذه الفئة. ويتابع (فهد) سرده قائلاً: (("الخليجين" هي التسمية التي اطلقت علينا بحكم مجيئنا من دولة خليجية واستقرارنا هنا, وهي تعطي دلالة واضحة على عدم إعتراف أبناء الناصرية بنا كمواطنين أو كعراقيين .. فلم ولن نكون في نظرهم في يوم من الأيام أبناء مدينة أو "ولد ولاية" وعلى الرغم من هذه النظرة يقول (فهد): ((أفرحتنا تسميتهم لنا بالخليجين أو الكويتين، حيث عشنا هناك ردحاً من الزمن لم يطلق علينا أحد هكذا اسم, وفي العراق وجدناه ينتظرنا بكل لهفه. كنية تداعب شغاف القلب وتسري بدواخلنا لذه حرمنا منها دهراً.))[77] ويقوم (فهد) بإجراء مقارنه بين ايدلوجية الشعب العراقي وايدلوجية الشعب الكويتي قائلاً: ((نحن والعراقيون عالمان مختلفان كل الإختلاف .. نحن بدشاديشنا البيضاء والكفافي الحمراء, بدواوينا وسهراتنا نجسد كل معالم المجتمع الخليجي, وهم ببنطولناتهم وتسريحات شعرهم يعيشون في عالم اخر مليء بالمصاعب والهموم. يقولون للعراقي فرحتان: عندما يتسرح من الجيش وعندما يستلم "الكمية". الا اننا لم نذق طعم أي من الفرحتين .. لم نخدم بالجيش ولم نعر للبطاقة التموينية أي إعتبار .. بيد انني لا أستطيع الإندماج في مجتمعهم أجدني في وادٍ وهم في وادٍ اخر.))[78]ويقارن (فهد) بين مكانتهم في الكويت ومكانتهم في العراق ففي الكويت كانوا طبقة مهمشة منسية وأصبحوا في العراق أصحاب سلطة ومال ((ليس هنا كما كنا في الكويت, هناك نحن البدون المغمورون, وثمة بون شاسع يفصلنا عن حملة الجنسية الكويتية, أما هنا فالأمر مختلف أصبحنا "خليجين" نمتلك سلطة المال التي تجعل كل صعب في العراق ميسرا وتمنحك كل ما ترغب به عدا كرسي الحكم. لا توجد قيمة للشهادة هنا, لا تعطيك المال ولا حتى القوة.))[79] ويلخص (فهد) التناقضات التي يعيشها العراقيون بحسب وجهة نظره بمقولة ظهرت على شاشة تلفزيون الكويت بداية الثمانينيات ((عجيب أمور غريب قضية))[80]. واخيراً يتجلى صراع الايدلوجيات بشكل صريح في قول (فهد): ((بين صدام وجابر وفهد وبوش ضعنا, فلا نعرف لنا طريقاً, في الامس كويتيون, واليوم صرنا عراقيين, ولعلنا غداً نصبح امريكين أو بريطانيين))[81].

الخاتمة

إن أهم النتائج التي توصل اليها الباحث هي:

1 - إن هوية الكاتب يوسف هداي ميس كانت سبباً في ايصال رسالته التي ضمتها الرواية فهو كويتي المولد عراقي المنشأ وقد عاش ضمن هذه الفئة التي كانت موضوع الرواية وعانى ما عاناه معهم فجاءت الرواية تعبيراً صادقاً لما عانته هذه الفئة.
2 - طرح الكاتب أزمة الهوية بوصفهاثيمة رئيسة للنص الروائي بكامله فقد سيطرت إشكالية الهوية بسرد تعاقبيبضمير المخاطب .
3 - إن طرح الكاتب قضية أزلية ليست هناك أي إرادة سياسية في تسويتها منذ سنين عدة هو إعلان وبصراحة أن هذه الفئة تحتاج الى تسليط الضوء إعلامياً وسياسياً لفئة لا تعرف إنتماها.
4 - عبرت الرواية عن نبل غاياتها الأخلاقية والروحية فقد جاءت الرواية تأكيداً لقيم التسامح وتقبل الاخر وإحترام حقوق الإنسان ورفض مبدأ العنف.

الهوامش

(1) ينظر: العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ، علي طاهر محمود ،سلسلة دراسات اجتماعية ،مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية ،بغداد –بيروت ، ط1 ،2012 :22 .
(2) ينظر: الهوية ،اليكس ميكشيللي ،ت:علي وطفة ، دار النشر الفرنسية تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعية ، دمشق ،ط1 ،1993 :7 .
(3) ينظر: اغتيال العقل ،برهان غليون ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب ، ط4، 2006 :28 .
(4) ينظر : اللغة والهوية :قومية – اثنية – دينية ، جون جوزيف ، ت :د عبد النور خراقي ، سلسلة عالم المعرفة (342) ، الكويت ، ط 1، 2007 : 14 .
(5) ينظر: الهويات القاتلة :قراءات في الانتماء والعولمة ، امين معلوف ، ت : د نبيل محسن ،ورد للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية –دمشق ، ط1، 1999 : 14 .
(6) معجم المنجد نقلا عن العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ، 26 .
(7) ينظر: الهويات القاتلة :6 .
(8)ينظر: الهوية : 8 ، 12 . وينظر : دراسات في الصحة النفسية (الهوية والاغتراب ،الاضطرابات النفسية) ، د عادل عبد الله محمد ، دار الرشاد للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط1 ، 2000 :16 . وينظر اشكالية الهوية في الرواية العراقية ، شيماء جبار علي ، اطروحة دكتوراه ،جامعة بغداد / كلية التربية للبنات ،ط 2015 : 5 .
(9) العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات :7.

(10) ينظر: الهوية والعنف وهم المصير الحتمي ، امارتيا صن ، ت: سحر توفيق ، سلسلة علم المعرفة ، (352) ، الكويت ، ط1 ،2008: 18 .
(11) ينظر: اشكالية الهوية في الرواية العراقية 1990 2011 : 3.
(12) ينظر :الهوية والعنف : 132 .
(13) ينظر: الهوية والتعليم ، سعيد اسماعيل علي ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط 2005،1: 30 .
(14) ينظر: كلمات مفتاحية ،د توفيق السيف ، صحيفة الشرق الاوسط ، www-orient-news.net
(15) اصفاد من ورق: رواية ، يوسف هداي ميس ، تموز ، دمشق ،ط 1 ، 2013 :206 .
(16) م.ن : 72 .
(17) م.ن :126 .
(18) م.ن : 126
(19) الرواية :126 .
(20) م.ن : 165 166 .
(21) م.ن : 75 .
(22) م.ن : 72 .
(23) م.ن : 72 .
(24) اصفاد من ورق : 166 .
(25) م.ن :166 .
(26) م.ن : 208 .
(27) م.ن : 141.
(28) ينظر :الهويات القاتلة :قراءات في الانتماء والعولمة:36 .
(29) الرواية : 252.
(30) م.ن : 14 .
(31) م.ن : 8 .
(32) م.ن : 9 .
(33) م.ن : 9.
(34) م.ن :17 .
(35) م.ن :17 - 18 .
(36) م.ن : 18
(37) م.ن : 259 .
(38) م.ن : 259 .
(39) ينظر : الهويات القاتله : 38 .
(40) ينظر : مدخل الى الايدلوجيا السياسية ، اندرو هيود ، ت: محمد الصفار ، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين (1830)، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ،2012: 14 .
(41) ينظر :م. نفسه :15 . وينظر : مفهوم الايدلوجيا ، عبد الله العروي ،المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ، ط 5 ،1993 : 10 .
(42) ينظر :مدخل الى الايدلوجيا السياسية : 15 .
(43) ينظر : م.ن : 10 .
(44) م.ن : 10 .
(45) الايديولوجية ، ديفيد هوكس ، ت: ابراهيم فتحي ، المجلس الاعلى للثقافة ،القاهرة ، ط 2005 ،27.
(46) ينظر : م.ن : 46 .
(47) معجم المعاني الجامع ، نقلا عن صدام الهوية :26 .
(48) مدخل الى الايدلوجيا السياسية : 11 .
(49) ينظر : مفهوم الايدلوجيا : 10 .
(50) ينظر : أزمة الهوية عند المراهق ، د احمد مجاور da3am.com– www.psy
(51) الرواية: 244 - 245 .
(52) الايدلوجية : 16 .
(53) الايدلوجية : 16 .
(54) الرواية : 155 .
(55) الرواية : 156 .
(56) الرواية : 104 – 205 .

(57) الرواية : 206 .
(58) الرواية : 2018 2019 .
(59) الايدلوجية : 16 .
(60) الرواية : 245 .
(61) الرواية : 77- 78 .
(62) الرواية : 78 .
(63) الرواية : 78 .
(64) الرواية : 79 .
(65) الرواية : 79 .
(66) الرواية : 248 .
(67) الرواية : 248 .
(68) الرواية : 248 .
(69) الرواية : 248 .
(70) الرواية : 20 .
(71) الرواية : 128 .
(72) الرواية :20 .
(73) الرواية : 20 .
(74) الرواية : 21.
(75) الرواية : 20 .
(76) الرواية : 20 .
(77) الرواية : 253 .
(78) الرواية : 255 .
(79) الرواية : 253 .
(80) الرواية : 253 .
(81) الرواية : 251 .

المصادر

1 - أصفاد من ورق: رواية ، يوسف هداي ميس ، تموز ، دمشق ،ط 1 ، 2013.
2 - إشكالية الهوية في الرواية العراقية ، شيماء جبار علي ، اطروحة دكتوراه ،جامعة بغداد / كلية التربية للبنات ، ط 2015 .
3 - إغتيالالعقل ،برهان غليون ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب ، ط4، 2006.
4 - الايديولوجية ، ديفيد هوكس ، ت: ابراهيم فتحي ، المجلس الاعلى للثقافة ،القاهرة ، ط 2005 .
5 - : دراسات في الصحة النفسية (الهوية والاغتراب ،الاضطرابات النفسية) ، د عادل عبد الله محمد ، دار الرشاد للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط1 ، 2000.
6 - العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ، علي طاهر محمود ،سلسلة دراسات اجتماعية،مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية ،بغداد –بيروت ، ط1 ،2012 .
7 - اللغة والهوية :قومية – اثنية – دينية ، جون جوزيف ، ت :د عبد النور خراقي ، سلسلة عالم المعرفة (342) ، الكويت ، ط 1، 2007 .
8 - مدخل الى الايدلوجيا السياسية ، اندرو هيود ، ت: محمد الصفار ، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين (1830)، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ،2012 .
9 - الهويات القاتلة :قراءات في الانتماء والعولمة ، امين معلوف ، ت : د نبيل محسن ،ورد للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية –دمشق ، ط1، 1999.
10 - الهوية ،اليكس ميكشيللي ،ت:علي وطفة ، دار النشر الفرنسية تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعية ، دمشق ،ط1 ،1993 .
11 - الهوية والتعليم ، سعيد اسماعيل علي ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط 2005،1.
12 - الهوية والعنف وهم المصير الحتمي ، امارتيا صن ، ت: سحر توفيق ، سلسلة علم المعرفة، (352)، الكويت ، ط1 ،2008 .

الانترنت

(1) أزمة الهوية عند المراهق ، د احمد مجاور www.psy –da3am.com
(2) كلمات مفتاحية ،د توفيق السيف ، صحيفة الشرق الاوسط ، www-orient-news.net